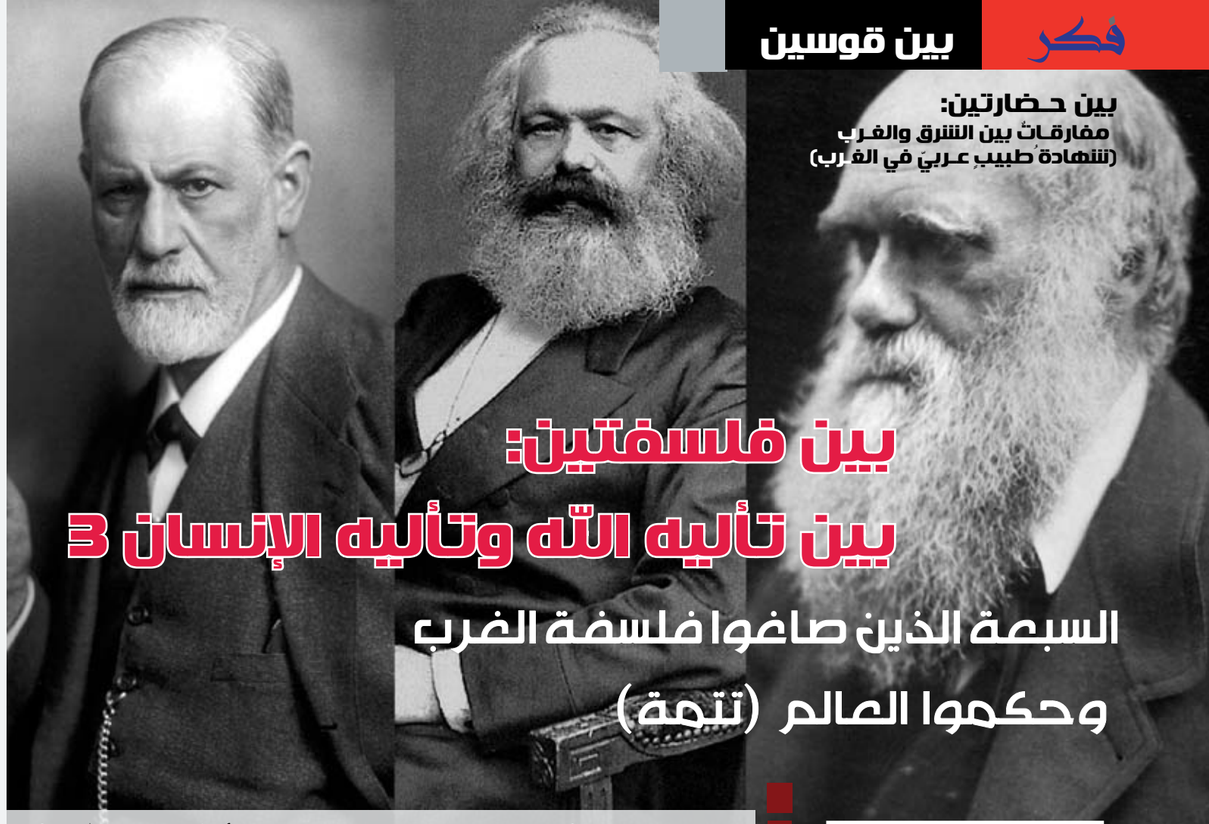

بين حضارتين:
مفارقاتٌ بين الشرق والغرب
(شهادة طبيبٍ عربيّ في الغرب)

بين فلسفتين:
بين تأليه الله وتأليه الإنسان 3

السبعة الذين صاغوا فلسفة الغرب وحكموا العالم (تتمة)

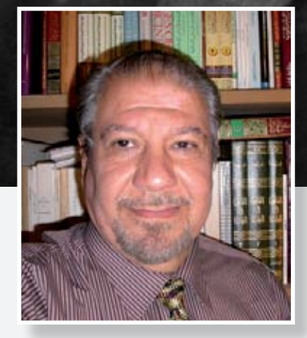

أ.د: مهند الفلوجي

أستاذ الجراحة والمشرف على:
معهد تاريخ الطب والعلوم
عند العرب والمسلمين
(www.ihams.org)

لندن

تقوم نظرية داروِن على أصلين، كل منهما مستقل عن الآخر:

1 – المخلوقات الحية وجدت في مراحل تاريخية متدرجة لا دفعة واحدة، وهذا الأصل من الممكن البرهنة عليه.

2 – هذه المخلوقات متسلسلة وراثيًّا ينتج بعضها عن بعض بطريقة التعاقب خلال عملية التطور البطيئة الطويلة. وهذا الأصل لم يتمكنوا من البرهنة عليه حتى الآن لوجود حلقات مفقودة في سلسلة التطور الذي يزعمونه.

ويزعم جُليان هكسلي (داروني ملحد، ظهر في القرن العشرين): أن الإنسان قد اختلق فكرة الله إبان عصر عجزه وجهله، أما الآن فقد تعلم وسيطر على الطبيعة بنفسه، ولم يعد بحاجة إليه، فهو العابد والمعبود في آنٍ واحد.

كان الناسُ (قبل داروِن) يدعون إلى حرية الإعتقاد بسبب الثورة الفرنسية، ولكنهم بعد داروِن أعلنوا إلحادهم الذي انتشر كالنار في الهشيم من بريطانيا إلى أوروبا إلى بقاع العالم.

ولم يعد هناك أي معنى لمدلول: آدم، وحواء، والجنّة، والشجرة التي أكل منها آدم وحواء، والخطيئة (حسب اعتقاد النصارى بأن المسيح قد صُلب ليخلّص البشرية من أغلال الخطيئة الموروثة التي ظلت ترزح تحتها من وقت آدم إلى حين صلبه). وما عاد الإنسانُ سيّد المخلوقات، فهو ليس مُكرّمًا ولا هو خليفة الله في الأرض. ومن هنا صارت قارة أفريقية فجأة هي أصل ظهور الإنسان (لتُطابق نظرية داروِن)، بل وظهرت أفلام سينمائية تدعمه تدور حول مملكة القردة (The Planet of the Apes) التي تتصارع مع الإنسان الذي يستعبدها في أقفاص التجارب الحيوانية، وحول(Rise of the Planet of the Apes) كأسياد للأرض بدل الإنسان!!! وغيرها كثيرمن الخيال الغريب. ولم تعد هناك غاية من وجود الإنسان ككائن متفرّد، لأن داروِن قد جعل بين الإنسان والقرد نسبًا، وزعم أن الجدّ الحقيقي للإنسان هو خلية صغيرة عاشت في مستنقع آسن قبل ملايين السنين!!! وصارت عبادة الطبيعة هي البديل عن عبادة الله، فقد قال داروِن: "الطبيعة تخلق كل شيء ولا حدّ لقدرتها على الخلق". و"إن تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله هو بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت"!!! قال تعالى ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ الجاثية:24.

آثار نظرية داروِن: وجدت النظرية مناخًا مناسبًا إذ ولدت بعد زوال سلطان الكنيسة والدين، وبعد الثورة الفرنسية والثورة الصناعية حيث كانت النفوس مهيأة لتفسير الحياة تفسيرًا ماديًّا بحتًا، بعيدًا عن تفسيرات اللاهوت الكنسية. وسرعان ما شملت معظم فروع المعرفة الإنسانية من علمية وأدبية، بل وحتى فرضوها لتفسير نظام الحياة والكون، الذي يسير بدقة متناهية بتدبير الحكيم (الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) طه:50.

ولم يوجد في التاريخ البشري نظرية باطلة صبغت مناحي الفكر الغربي كما فعلت نظرية النشوء والارتقاء الداروِنية.

لقد شكّلت نظرية داروِن حجر الزاوية لـ "ماركس" الذي استمد منها مادية الإنسان، وجعل مطالب حياته تتمحور وتتحصر في (الغذاء والسكن والجنس)، مهملاً بذلك جميع العوامل الروحية والنفسية. وكانت نظرية داروِن إيذانًا لميلاد نظرية فرويد في التحليل النفسي، واستمد فرويد منها حيوانية الإنسان، فالإنسان عنده حيوان جنسي، لا يملك إلا الانصياع لأوامر الغريزة، وإلا وقع فريسة الكبت المدمر للأعصاب. والتطور عند فرويد أصبح مفسِّرًا للدين تفسيرًا جنسيًّا: "الدين هو الشعور بالندم من قتل الأولاد لأبيهم الذي حرمهم من الاستمتاع بأمهم، ثم صار عبادة للأب، ثم عبادة الطوطم، ثم عبادة القوى الخفية في صورة الدين السماوي، وكل الأدوار تتبع وترتكز على عقدة أوديب".

وقد عارض العلماءُ بشدة داروِن ونظريته: فانتقدها كريسي موريسون بقوله: "إن القائلين بنظرية التطور لم يكونوا يعلمون شيئًا عن وحدات الوراثة (الجينات)"، وهي التي تحافظ على بقاء النوع وديمومته بلا تغيير وتطوير لنوع آخر. وناقش أنتوني ستاندن (مؤلف كتاب: العلم بقرة مقدسة) الحلقة المفقودة (الثغرة بين نوع وآخر)، فيقول: "إنه لأقرب من الحقيقة أن نقول: إن جزءًا كبيرًا من السلسلة مفقودة وليس حلقة واحدة، بل إننا لنشك في وجود السلسلة ذاتها". وأبطل باستور أسطورة التوالد الذاتي، وكانت أبحاثه ضربة قاسية لنظرية داروِين.

وحين اضطرب أصحاب الداروِنية الحديثة أمام النقد العلمي، خرجوا بأفكار جديدة لإحياء الداروِنية بعد تحطمها أمام علم الجينات فاستبدلوا آلية التطور بقانون "الطفرات الوراثية المفاجئة"، وجاءوا بفكرة "المصادفة". وقد أُجبِروا على الإقرار بتفرّد الإنسان بيولوجيًّا عن القرد، برغم التشابه الظاهري بينهما (وهذه ضربة أخرى لداروِن ومعاصريه التابعين). الحقيقة، أن الداروِنية أثارت تساؤلات عديدة أكثر مما أعطت من حلول وإجابات.

اقترح ابن عم داروِن فرانسيس كالتون Francis Galton 1822–1911 في عام 1865 وعام 1869 قيام علم تحسين النسل (سمّاها: يوجينيكس Eugenics). وكلمة يو-جينيكس مشتقة من الكلمة الإغريقية: يو (بمعنى جيّد) ولاحقة: جينيكس (استيلاد الجنس) التي استحدثها السير فرانسيس كالتون عام 1883 وعرّفها أنها «دراسة جميع القوى الإدارية تحت السيطرة البشرية لتحسين أو إضعاف نوعية العرق البشري لأجيال المستقبل». وقد قرأ داروِن كتابات ابن عمه (كالتون) بشغف، حتى إنه كرّس

قامت العائلة المالكة البريطانية بدور المروّج لأفكار داروِن في التطور، فخلدوا صورته على ورقة النقد فئة 10 باونات استرلينية. كما سكّوا له عُملة نقدية فئة الباونين الإسترلينيين في المئوية الثانية على ولادته (1809 – 2009م).

فصولاً في كتابه (أصل الإنسان) لمناقشة نظريات كالتون.

لقّنَ الله داروِنَ درسًا في (المرض والموت)! اللذين لم يحسب داروِن حسابهما في نظريته، إذ توفى الله ثلاثة من أولادَه العشرة صغارًا الواحد تلو الآخر (أولى بناته: آن اليزابيث داروِن ماتت بالسل وعمرها 10 سنين، ثاني بناته: ماري إليانور داروِن عاشت 23 يومًا فقط، وآخر أبنائه العشرة شارلس ورينغ داروِن وُلِد مصابًا بمتلازمة: "داون" ومات بالحمى القرمزية بعد 18 شهرًا من ولادته)، رغم تمشدق داروِن بتحسين النسل وبقاء الأصلح والإنتقاء الطبيعي!!!

ناقش كالتون في أنه مثلما تتوارث المواصفات الجسدية الفيزيائية بوضوح في الأجيال البشرية، فكذلك الصفات العقلية (كالعبقرية والموهبة). وناقش كالتون في أن أخلاقيات المجتمع يجب أن تتغير حتى تكون عملية الوراثة قرارًا واعيًا مقصودًا، من أجل تفادي التوالد الكثير لأفراد المجتمع «الأقل صلاحية وكفاءة» والتوالد القليل للأفراد «الأكثر صلاحية وكفاءة». وفي رؤية كالتون، فإنّ المؤسسات الاجتماعية، مثل: ملاجئ المعوقين ومصحات المجانين إنما تسمح ببقاء وديمومة البشر الرديء الدون بمستويات أسرع من البشر المتفوق في المجتمع الجدير بالاحترام، وإذا لم تُتّخذ إجراءات التصحيح، فإنّ المجتمع سرعان ما يكون غاصًّا بالرديء الدون.

والفقرة الآتية لـ مالثوس توضح تأثيره في كالتون، حيث يقول مالثوس (في كتابه «مقالة في مبدأ التكاثر السكانيّ» عام 1798، الفصل التاسع، ص 72) وهو يقترح طرائق تربية الحيوان التي يمكن تطبيقها على الإنسان، قبل فكرة فرانسيس كالتون التي سمّاها من بعد «يو- جينيكس» (تحسين النسل) عام 1883:

(لا يبدو...على أي حال أنّ الاهتمام بتوليد سلالة محسنة بعض الشيء (بما يشبه استحداثه في الحيوانات) أمرًا عسيرًا لا يمكن استحداثه بين بني الإنسان. قد يكون انتقال الذكاء أمرًا مشكوكًا فيه؛ لكن مواصفات الضخامة، والقوة، والجمال، والبشرة، وربما طول العمر يمكن نقلها إلى حدٍ ما... ولمّا كان العِرق البشريّ لا يمكن تحسينه دون شجب وإجبار جميع العيّنات الرديئة للتبتل والعزوبية (الامتناع عن التناسل)، لا يمكن تعميم هذا التوالد كأمرٍ عامّ).

طوّر كالتون علم يوجينيكس (تحسين النسل) ومبدأه الأساس هو «السيطرة» وتعزيز القياسات النوعية والتحليلية لـ «السِمات المرغوبة» لأجل إعداد دليل مُرشد لكيفية الحصول على «النسل الممتاز حقًا». وهذه النظريات المُنادية بالـ «العِرق المتفوّق»، وهو عادةً عِرق «نورديك» (سكان شمال أوروبا من الجرمان والإسكندنافيين) والعِرق «الآريّ» مع تحسين النسل (يوجينيكس)، التي ابتكرها سير فرانسيس كالتون (مع آخرين) وأشاعها مع مطلع القرن العشرين، كان لها التأثير الأساسيّ البارز في سياسات النازية العِرقية وبرنامجهم في تحسين النسل (يو – جينيكس) الذي قام بتنفيذه أدولف هتلر (متأثرًا بـ (داروِن وكالتون).

وكانت هذه النظريات نفسها لـ (مالثوس وسبنسر وداروِن وكالتون) وراء التفرقة العنصرية في الجنوب الأفريقي Apartheid. كان التمييز العِرقي العلميّ وصمة عار نسجت نظريات ووضعت مقترحات حديثة تدّعي زورًا الدليل العلمي: دليل التطور البيولوجي لداروِن والتطور الإجتماعي لسبنسر من وراء فروق أعراق البشر المختلفة. وتسبب في كوارث الدمار الإنساني في الحرب العالمية الثانية التي انتهت بمقتل 60 مليونًا من البشر.

1. **كارل ماركس** (1818–1883) Carl Marx:

يُعدّ اليهودي الألماني وفيلسوف الاجتماع كارل ماركس أحد كبار الاقتصاديين في التاريخ، ومن أهم ما كتب هو البيان الشيوعي (1848)، و رأس المال (1867–1894) ونظّرَ لصراع الطبقات في تفسيره المادي الجدلي للتاريخ بقوله في البيان الشيوعي: «لا يزال يُفَسر تاريخ جميع المُجتمعات الحالية بتاريخ صراعات الطبقات».

عاش طريدًا متنقلاً من ألمانيا إلى فرنسا إلى بروكسل، وأخيرًا انتقل واستقر في لندن عام 1849. حيث أمضى بقية حياته (عاش في لندن 44 سنة). انتقل مقر الرابطة الشيوعية معه إلى لندن. توفي ماركس في لندن بتاريخ 14 مارس 1883م بالتهاب الرئتين. توفي بلا جنسية؛ ودفنته عائلته واصدقاءٌ قلة في مقبرة هايكيت Highgate بلندن يوم 17 مارس عام 1883. يحمل شاهد قبر ماركس رسالة منحوته تقول "يا عمال العالم اتحدوا" وهو للسطر الأخير من البيان الشيوعي، كما احتوى شاهده

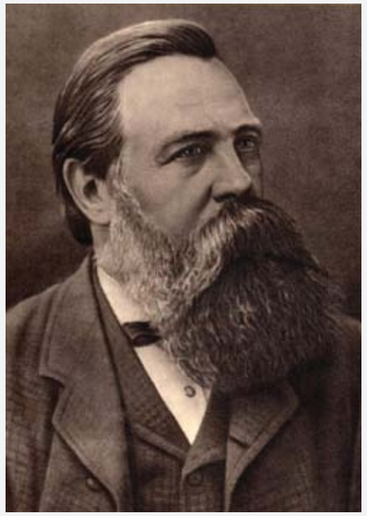

كارل ماركس (1818–1883م) وفريدريك إنجلز (1820–1895م) الفيلسوفان الألمانيان الصديقان مؤلفا البيان الشيوعي، عاشا في لندن (العاصمة الرأسمالية) وماتا فيها !!!

نُشر البيان الشيوعي لأول مرة في 21 شباط عام 1848، بعد أن تمت كتابته للرابطة الشيوعية من قبل ماركس وإنجلز وقد استمرت مدة كتابته من ديسمبر عام 1847 حتى يناير من عام 1848. وقد وضع البيان الشيوعي معتقدات الرابطة الشيوعية الجديدة. وضعت الأسطر الأولى في الكتيب الأساس الرئيسي للماركسية مبتدئةً بالقول "إن تاريخ كل مجتمع متواجد حتى الآن هو تاريخ صراع الطبقات". وقد استمر النظر للتناقضات التي ادعى ماركس وجودها إنها بسبب تضارب مصالح البرجوازية (الطبقة الثرية) والبروليتاريا (الطبقة العاملة). وانطلاقًا من هذا، عرض البيان الحجة على ضرورة دعم الحزب الشيوعي بدلاً من الأحزاب الأخرى لمصلحة البروليتاريا بهدف الإطاحة بالمجتمع الرأسمالي واستبداله بالاشتراكية. صرّح ماركس إن التغييرات في المجتمع لم تتحقق إلا بالجهود المتواصلة وقوة إرادة "حفنة من الرجال". أصبحت لندن المقر الرئيسي الجديد للرابطة الشيوعية. وبرغم الانقسامات الداخلية، ارتبط ماركس بشدة مع العمال الألمان الإشتراكيين الناشئين في مجتمع تعليمي. عقدت جمعية تربية العمال الألمان اجتماعاتها في شارع الطاحونة العظمى، سوهو، منطقة الترفيه وسط لندن.

علاقة ماركس بدارون: تزعم نظرية دارون في التطور أن البشر لم يُخلقوا وإنما تطوروا، وأن البشر ليسوا متساوين وإن البعض منهم متطور أكثر من الآخرين. قرأ كارل ماركس (أصل الأنواع) لدارون عدة مرات، واستخدم مصطلح "البقاء للأصلح" لإضفاء العلمية على "صراع الطبقات الجدلي"، حيث يقوم منظمو العمل والمجتمع لإيجاد فوضى اجتماعية تُمكّن طُغاة الشيوعية من الإمساك بزمام القوة.

وكتب كارل ماركس لصديقه (لاسال) في 16 كانون الثاني 1861م:

(كتاب دارون مهم جدًّا وخدمني كأساس في الانتقاء الطبيعي بالنسبة لصراع الطبقات في التاريخ).

ثم قام كارل ماركس بإهداء كتابه شخصيًّا وبخط يده لدارون.

فأجابه دارون في رسالة: «سيدي العزيز: أنا أشكرك للشرف الذي أوليتموني بإرسال عملكم الكبير حول رأس-المال؛ وأنا أتمنى قلبيًّا أن أكون أكثر استحقاقًا لاستلامه، لفهم أكثر لموضوع الاقتصاد السياسي العميق والمهم. وبرغم أن دراساتنا مختلفة جدًّا، فأنا أعتقد أننا معًا نرغب بحماس توسيع المعرفة، وأن هذا على المدى البعيد سيضيف لسعادة البشرية. سأبقى سيدي العزيز: المخلص لكم شارلس دارون) انتهى.

وقد قرأ دارون أول مئة صفحة من كتاب "رأس- المال" (كانت كتبُ ذلك الزمان غالبًا ما، تُطبع والصفحات مطوية الحافات، وعلى القارئ ضرورة فتحها لقراءتها).

> صار الثلاثي: دارون وفرويد وماركس يُسمّون بـ (الثالوث غير المقدس Unholy trinity) لأنهم وضعوا لبَنات الأساس للمجتمع الملحد الحديث.

انضم ماركس لمنظمة سرية متطرفة تدعى "حزب العدالة" في أثناء إقامته في بروكسل عام 1846، وقد كان ذلك الحزب نشطًا بشكل سياسي سري منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر (1830). وقد كان أعضاء حزب العدالة نشطين في ألمانيا وانجلترا وسويسرا بالإضافة إلى فرنسا. في عام 1847، تمت إعادة تنظيم حزب العدالة إلى مجتمع سياسي علني ناشد الطبقات العاملة بشكل مباشر. وقد سُمّي ذلك المجتمع السياسي باسم "الرابطة الشيوعية". شارك كل من ماركس وانجلز في صياغة البرنامج والمبادئ التنظيمية للرابطة الشيوعية الجديدة.

على مقطع من كتاب إحدى عشرة أطروحة حول فيورباخ (حرره إنجلز): "كل ما فعله الفلاسفة هو تفسير العالم بطرق مختلفة – لكن المهم هو تغييره". في عام 1954 قام الحزب الشيوعي في بريطانيا العظمى ببناء شاهد قبر ضخم لماركس مع تمثال نصفي له نحته لورانس برادشو، أما قبر ماركس الأصلي فقد بقي بزينة بسيطة. وفي عام 1970 كانت هناك محاولة فاشلة لتدمير هذا النصب التذكاري باستخدام قنبلة محلية الصنع. عند وفاة إنجلز في عام 1895 ترك "جزءًا كبيرًا" من ثروته التي بلغت 4.8 مليون دولار لابنتي ماركس اللتين كانتا على قيد الحياة. وحاول المؤرخ الماركسي ايريك هوبسباوم تلميع صورة ماركس بقوله: "لا يمكن لأحد أن يقول أن ماركس توفي وهو فاشل" لأنه على الرغم من أنه لم يحصل على أتباع كثيرين في بريطانيا إلا أن كتاباته بدأت بالفعل بإحداث تأثير على الحركات اليسارية في ألمانيا وروسيا. وخلال 25 سنة من وفاته كانت الأحزاب الاشتراكية في القارة الأوروبية تعترف بتأثير ماركس وتحصد الكثير من الانتخابات.

صورة ماركس على الأوراق النقدية فئة 100 مارك، في ألمانيا الشرقية قبل سقوط جدار برلين.
لاحظ علامة الفرجال (الماسوني) مع المطرقة بدل الشعار الشيوعي: المنجل والمطرقة مما يدل على امتزاج الماسونية بالشيوعية.

إهداء كارل ماركس الشخصيّ لكتابه (رأس- المال: نقد الاقتصاد السياسي) وبخطّ يده،
لرفيق عصره وزمانه شارلس دارون والاثنان عاشا في لندن وإنجلترا. كتب على كتابه:
السيد شارلس دارون: من معجبه المخلص. كارل ماركس، لندن 16 حزيران 1873، 1، فيلا مودينه ميتلاند بارك

2. سيغموند شلومو فرويد Sigmund Freud 1939 -1856)م):

طبيب الأعصاب النمساوي اليهودي الذي أسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس الحديث. اشتهر فرويد بنظريات العقل واللاوعي، وخلق الممارسة السريرية في التحليل النفسي لعلاج الأمراض النفسية عن طريق الحوار بين المحلل النفسي والمريض، وتفسير الأحلام، كمصدر لرغبات اللاوعي.

سُمّي فرويد بـ "داروِن النفس البشرية" (Frued: The Darwin of the Human Psyche)، وصار الثلاثي: داروِن وفرويد وماركس يُسمّون بـ (الثالوث غير المقدس Unholy trinity) لأنهم وضعوا لبَنات الأساس للمجتمع الملحد الحديث. لقد تمّ تجاوز الكثير من أفكار فرويد، أو تعديلها من قبل المحافظين الجدد و"الفرويديين" نهاية القرن العشرين. وبرغم التقدم في مجال علم النفس حيث ظهرت عدة عيوب في الكثير من نظرياته، إلاّ أنه بقت أساليب فرويد مهمة في تاريخ الطرق السريرية، وأفكاره لا تزال تؤثر في بعض العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية. وبرغم الانتقادات الكثيرة، لا زال البعض يرى لفرويد فضل في تطوير علم النفس.

التطور النفسي الجنسي: استخدم مصطلح (ليبيدو libido أي الشهوة والشبق الجنسي) كان يهدف فيه إلى إبراز قيمة الغرائز الطبيعية وجعلها المؤثر الأول في السلوك الإنساني. لاقى فرويد الكثير من الانتقادات ممن جاؤوا بعده، وثبّتت دراسات حديثه انتقادات لنظرة فرويد الجنسية الجامده عند الإنسان، وكيف أنه أرجع كثيرًا من الاضطرابات إلى عوامل جنسية بحتة، وتجاهل الجانب الاجتماعي والروحاني وكيفية تأثيرها في الشخصية السوية وتأثيرها في العقد الجنسية، وكأن الدماغ عنده من لواحق الأعضاء التناسلية وليس العكس (فالأعضاء التناسلية حقيقة هي لواحق تأتمر بأمر الدماغ المسيطر).

الهو، والأنا، والأنا العُليا (Id, Ego, Superego): رأى فرويد أن الشخصية مكونة من ثلاثة أنظمة هي:

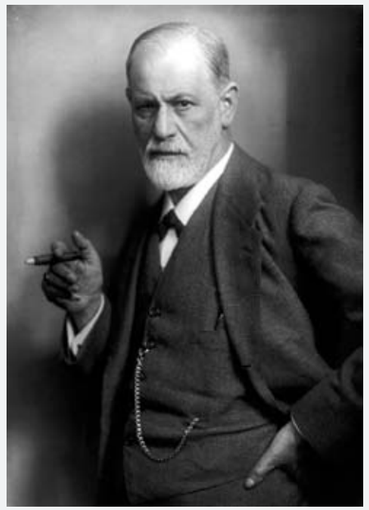

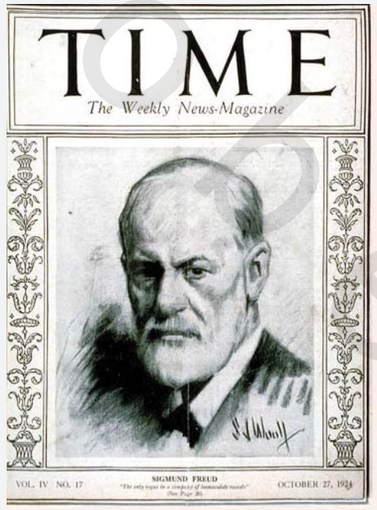

كان سيغموند فرويد نجم مجلة الـ (تايم) الأمريكية، وكانت وسائل الإعلام بوقتها يروّج آراءه الجنسية الشاذّة. وكان مفوهًا طليق اللسان وكانت أفكاره ونظرياته ظاهرةً متميزة في الإعلام وسببًا رئيسًا في انتشار الثورة الجنسية في أمريكا والعالم.

الهو Id ، والأنا Ego ، والأنا العُليا Superego ، وأن الشخصية هي محصلة التفاعل بين هذه الأنظمة الثلاثة.

الهو أو النفس المشتهية يقصد به طبيعتنا الأساسية التي لم يهذبها التعلم أو الحضارة تحوي الغرائز الحيوانية لدى الإنسان مع رغبة جامحة دائمًا تتطلب الإشباع فوريًّا دون الاعتبار لقواعد أو معايير. والمبدأ الذي يحكمه هو اللذة. ويستمد الهو طاقته من الاحتياجات البدنية مثل نقص الطعام أو الجنس الذي يتحول إلى طاقة نفسية ضاغطة، ويحتل الهو وغرائزه اللاشعور أي خارج نطاق شعور الإنسان وتحكّمه الإرادي.

الأنا (كما يراها فرويد) هو شخصية المرء في أكثر حالاتها اعتدالاً بين الهو والأنا العُليا، حيث تقبل بعض التصرفات من هذا وذاك، وتربطها بقيم المجتمع وقواعده، حيث من الممكن للأنا أن يقوم بإشباع بعض الغرائز التي يطلبها الهو، ولكن في صورة متحضرة يتقبلها المجتمع، ولا يرفضها الأنا العُليا

- مثال: عندما يشعر شخص بالجوع، فإن ما تفرضه عليه غريزة البقاء (الهو) هو أن يأكل حتى لو كان الطعام نيئًا أو برّيًا، بينما ترفض قيم المجتمع والأخلاق (الأنا العليا) مثل هذا التصرف، بينما يقبل الأنا إشباع تلك الحاجة، ولكن بطريقة متحضرة، فيكون الأكل نظيفًا ومطهوًا ومعدًّا للاستهلاك الآدمي، ولا يؤثر على صحة الفرد أو يؤذي المتعاملين معه
- يعمل الأنا كوسيط بين الهو والعالم الخارجي، فيتحكم في إشباع مطالب الهو وفقًا للواقع والظروف الاجتماعية.
- ويمثل الأنا الإدراك والتفكير والحكمة والملائمة العقلية، ويشرف الأنا على النشاط الإرادي للفرد.
- ويعد الأنا مركز الشعور إلا أن كثيرًا من عملياته توجد في ما قبل الشعور، وتظهر للشعور إذا اقتضى التفكير ذلك.
- ويوازن الأنا بين رغبات الهو والمعارضة من الأنا العُليا والعالم الخارجي، وإذا فشل في ذلك أصابه القلق ولجأ إلى تخفيفه عن طريق الحيل الدفاعية.

العقل الباطن: هو ما يعرف عند فرويد باللاشعور وهو يتكون من الدوافع والرغبات والخبرات المكبوتة منذ الطفولة المبكرة وتؤثر في كل حياة الفرد في المستقبل.. وهى ليست مكبوتة لا تظهر، بل تظهر من خلال الهفوات والأحلام والاعراض المرضية. ولذلك يقول فرويد: إن الخمس سنوات الأولى من حياة الفرد هي أهم مرحلة في حياته، لأن خبراتها تؤثر في مستقبل الفرد والمجتمع من ثم. كما ظن فرويد أن الكوكايين ذو أثر إيجابي في شفاء النفس، فقام بعلاج أحد مرضاه باستخدام الكوكايين لكنه توفي إثر ذلك!

عقدة أوديب الذكرية وعقدة أليكترا الأنثوية: تأثر فرويد بالأساطير اليونانية جدًّا، كما تأثر فرويد بالمسرحيات الدرامية لـ "وليم شكسبير" وكانت لأصوله اليهودية وولائه لهم تأثير كبير في تشكيل نظرياته النفسية والأخلاقية. تزوج فرويد عام 1886م وأنجب 6 أطفال: ثلاثة بنين وثلاث بنات، وأصبحت إحدى بناته طبيبة نفسية، وهي (آنا فرويد)، ولقد اشتهرت بعلاج الأطفال في لندن.

عقدة أوديب للذكور: هي مفهوم أنشأه سيغموند فرويد، واستوحاه من أسطورة أوديب الإغريقية وهي عقدة نفسية

تطلق على الذكر الذي يحبّ والدته ويتعلق بها، ويغير عليها من أبيه ويكرهه، ويشعر بأبيه بوصفه منافسًا له في حبّ الأم. ويفسّر (فرويد) زواج أوديب من أمّه بأنّ حب الأم فطري، ولكن أوديب لم يترجم هذا الحب بالشكل الصحيح. مرحلة في تطور الطفل تتميز برغبة الطفل في الاستئثار بأمه، لكنه يصطدم بواقع أنها ملك لأبيه، مما يجعل الطفل في هذه المرحلة من تطوره التي تمتد من السن 3-9 يحمل شعورًا متناقضًا تجاه أبيه: يكرهه ويحبه في آن واحد، جرّاء المشاعر الإيجابية التي يشمل بها الأب ابنه. تجد عقدة أوديب حلها عادة في تماهي الطفل مع أبيه. لأن الطفل لا يستطيع أن يقاوم الأب وقوته فإنه يمتص قوانين الأب، وهنا يأتي تمثل عادات وأفكار وقوانين الأب في قالب فكري لدى الطفل، يرى فرويد أن السمات الأساسية لشخصية الطفل تتحدد في هذه المدة بالذات، التي تشكل جسر مرور للصغير من طور الطبيعة إلى الثقافة، لأنه بتعذر امتلاكه الأم يكتشف أحد مكونات القانون، متمثلاً في قاعدة منع زنا المحارم. وتقابل عقدة الذكر لـ "فرويد" بـ (عقدة اليتكرا) عند الإناث، حيث تتعلق البنت عاطفيًّا بوالدها، وتكون هناك بعض العداوة نسبيًّا للأم نتيجة للغيرة منها. وبنى أدباء أوروبا على هذه الأسطورة الإغريقية الكاذبة نظريات ومسرحيات تراجيدية بصياغة أخرى، ثم جاء فرويد ليعلل الأمراض النفسية بناءً على أساس هذه الأسطورة المضحكة. كما أن للعقدة نفسها عند فرويد رواية جماعية تتمثل في أسطورة اغتيال الأب التي يعدها منشأ للعقائد والأديان والفنون والحضارة عمومًا.

تفاصيل أسطورة أوديب الإغريقية (كُتبت في القرن الخامس ق. م):

كان ملك ثيبس (أو طيبة) الإغريقي (لايوس) قد تزوج الملكة (جوكاستا) لمدة دون إنجاب، وكانت من عادات الإغريق أن يستشيروا (أوراكل) إي كُهّان أبولو في معبد دلفي، فقرأ العرّافون الطالع أنّ الملكة إذا أنجبت طفلاً فإنه سيقتل أباه (لايوس) ويتزوج بأمّه (جوكاستا). أنجبت الملكة أبنًا، فقرر الملك منع تحقيق النبوءة المشؤومة، فسَمّرَ كاحلي طفله على بعضهما (أي دقّهما بالمسامير) لمنعه أن يحبو أو يزحف على قدميه، ثم قرر التخلص من ابنه، فأمر أحد جنوده أن يأخذه لجبل الغابة المجاورة، وتركه هناك ليموت وحده، فذهب به الجندي لكن لم تطاوعه نفسه على ترك الطفل الصغير ليموت هناك، فسلّمه لراعي غنم، ورجع وأخبر الملك أنه تخلص من أوديب. وأما راعي الغنم فقد سلّم الطفل المسكين لراعي غنم آخر، سلّمه للبلاد المجاورة، فتبناه أخيرًا الملك (بوليبص) وملكته (ميروب) المحرومين من الأطفال.

وبسبب تورم قدميه وكاحليه، سُمّي الطفل أوديب أو أوديبوس Oedipus ، حيث الكلمة الإغريقية أوديما تعني تورّم، ومنها استعارت الإنجليزية الكلمة أوديما (بالعربية وذمة)، أُستبدِل حرف (م) بحرف (ب). ثم كبُرَ أوديب وأصبح ذا شأن عظيم هناك. وبعد مرور سنوات، أخبره أحد رجال القصر، وهو سكران، أن بوليبص ليس والده الحقيقي، لكن أوديب سأل والديه فأنكرا ذلك وأكدا له أنهما والديه. فطلب أوديب رأيًا ثالثًا فاستشار العرّافين (أوراكل) في معبد دلفي، فلم يخبروه بهوية والديه الحقيقيين، لكنهم أخبروه أن قدره أن يقتل والده ويتزوج أمّه. فقرر أوديب مغادرة البلاد بلا رجعة، تفاديًا ومنعًا لتحقيق هذه النبوءة المشؤومة. لذلك رحل إلى مدينة ثيبس (أو طيبة) لكونها أقرب البلاد. وهكذا يعود أوديب لمسقط رأسه.

وقبل دخوله المدينة كان هناك جسر للمرور، وفي أثناء عبوره الجسر واجه ملك ثيبس (لايوس: والده الحقيقي) وهو في مركبته، فطلب منه التنحي جانبًا ليعبر بمركبته. وخلال المشادة والدفاع عن النفس، قتل أوديب الملك دون علمه أن الشخص الذي قتله هو ملك ثيبس ووالده الحقيقي، وهرب خادم الملك والشاهد على الحادثة. ثم عند وصول أوديب إلى مدينة ثيبس كان هناك كائن أبو الهول الخرافي (سفنكس) يمنع الداخلين للمدينة. ولكي يدخلوا يلزمهم حلّ لغز، وإلاّ يأكلهم أبو الهول إذا لم يحلّوا اللغز. واللغز هو: (ما هو الشيء الذي يمشي على أربع في الصباح، وعلى اثنين في العصر، وعلى ثلاث في الليل؟) فأجاب أوديب: (هو الإنسان في طفولته يزحف على أربع، وفي بلوغه يمشي على رجلين اثنتين، وفي شيخوخته يتكأ على عصا المشي - أي على ثلاث)، فاستطاع أوديب بذكائه أن يكون أول من يحلّ اللغز، فصُعِق أبو الهول وقتل نفسه بعد أن رمى نفسه بالبحر، وبذلك تخلصت مدينة طيبة من هذه اللعنة.

ووصل أيضًا خبر مقتل ملك ثيبس حيث ظنّ سكان المدينة أن الملك قُتل في أثناء بحثه الإجابة على لغز أبو الهول، فشكر سكان طيبة لأوديب صنيعه ولم يكن هناك أجدر من أوديب البطل ليخلف الملك، فتزوج أرملة الملك جوكاستا (أمه الحقيقة)، وأنجب منها أبناءً أربعة (ولدين: إتوكليس و بولينيس، وابنتين: أنتيون و إسمين). وبعد مدة ينتشر وباء يصيب المدينة بالعقم، فلا نبات ينمو أونساء تحمل. فيؤكد الملك أوديب لسكان مدينته طيبة بأنه سُينهي الوباء والمعاناة.

فأرسل أوديب أخَ الملكة (كريون) ليأتي كُهان معبد دلفي للاستعلام عن سبب الوباء، فتأتي الإجابة أن الملك السابق (لايوس) قد قُتل ويجب الأخذ بثأره أما قتلاً أو نفيًا، فسأل أوديب عرّافًا عن هوية قاتل الملك، فأنذره العرّاف بأن لا يبحث عن القاتل، ولكن في عنفوان الجدال أستُثير العرّاف، فقال له إنه هو (أوديب) القاتل، وأنّ من المخجل ألا يعرف والده. فتدخلت زوجة الملك لتهدأ من روع أوديب، وتؤكد أن ابنها قد مات طفلاً، وأن مقتل زوجها كان على يد قاطع طريق (دون علمها أن زوجها الثاني أوديب هو ابنها، وهو الذي قتل أباه وزوجها الأول لايوس).

وفجأة يقدم رسول البلاد المجاورة، ليخبرهم بموت الملك (بوليبص) فيرتاح أوديب بعض الشيء بأن النبوءة لا يمكن تحقيقها لعلمه أن أباه بوليبص قد مات (فلا يمكن له قتله). لكن الرسول يسترسل بالكلام قائلاً بأن أوديب كان في الحقيقة ابنه بالتبني. وهنا تدرك جوكاستا أخيرًا هوية أوديب الحقيقية، فتطلب من أوديب أن يتوقف عن بحثه عن قاتل لايوس لتثني عزمه واستمراره في البحث. لكن أوديب يسئ فهم الملكة معتقدًا أنها متأففة من الزواج به كونه ابن عبد. فتدخل الملكة جوكاستا داخل القصر وهي منهارة مكتئبة، ثم تقرر الإنتحار وتقوم بشنق نفسها. ويستطيع أوديب من توثيق قصة الرسول وذلك باستجواب الراعي الذي تُرِك معه أوديب ليموت كطفل. فيعلم أوديب منه أن الطفل الذي تبناه الملك بوليبص والملكة ميروب، هو في الحقيقة ابن لايوس وجوكاستا. وهنا يستعيد أوديب ذاكرته أنه في طريقه لمدينة طيبة إنما قتل أباه لايوس، وأنه من بعد ذلك قد تزوج بأمه جوكاستا. ثم يبدأ أوديب بالبحث عن أمه، فيجدها قد انتحرت. وكانت صدمة (عُقدة) أوديب كبيره جدًّا لم يستطع تحمّلها، فيأخذ دبوسًا من ثوب أمه ويفقأ به عينيه الاثنتين بيده (لأنه كان أعمى عن معرفة الحقيقة).

يطلب أوديب من كريون (أخ الملكة وخال أولاده) رعاية بناته لأن أولاده كبار يستطيعون الاعتماد على النفس، ثم يقوم أوديب بلمس أولاده للمرة الأخيرة قبل خروجه للمنفى (عقابًا له لقتل والده لإنهاء الوباء). وتخرج معه ابنته (أنتيون) رفيقًا له وهادي طريق في أثناء خروجه عبر البلاد لتوصل أباها الأعمى أوديب إلى مثواه الأخير في كولون حيث توفي هناك، بعد أن صار في حماية الملك ثيسيوس ملك أثينا. وترجع أنتيون لموطنها.

أما ولداه (إتيوكليس و بولينيسيس) فإنهما يتفقان على حكم المملكة مشاركةً، بالتعاقب كل سنة. لكن إتيوكليس يرفض التنازل عن عرشه بعد سنته بالحكم كملك. فيقوم أخوه بولينيسيس بتنجيد جيش لمقاتلة أخيه والمطالبة بحقه بالملك. وفي النهاية يقتل الأخوان كل منهما الآخر. وهنا يتربع كريون (أخو الملكة جوكاستا) على العرش، ويقرر أن بولينيسيس كان خائنًا ولا يجوز إعطائه حق الدفن الملكي. لكن أخته أنتيون تتحدى المرسوم وتحاول دفن أخيها، وبسبب تجاوزها، يصدر الملك كريون مرسومًا بضرورة دفنها في كهف صخري مما يدفعها للانتحار وشنق نفسها.

(يتبع)

إبداع

قصة قصيرة

أيتها البندقية لست حبيبتي...

بقلم: محمد عبدالوكيل جازم

اليمن

جرب بالأمس أن يغادر المنزل القروي بدونها، لكنه لم يستطع، كان قد ركب سيارة أجرة قاصدًا المدينة للالتحاق بساحة الثوار، إلا أنه تراجع عن ذلك القرار بعد دقائق .. صرخ في وجه السائق: "أنزلني .. أرجوك توقف". دون أن يتحدث لأحد عاد مسرعًا إلى المنزل.. فتح الباب بركلة من قدمه، ودخل مسرعًا .. صعد ثمان درجات مؤدية إلى صدر الطابق الثاني .. انعطف يمينًا، وبركلة أخرى من قدمه الثانية فتح باب غرفتهما العلوية: "ها ..أين أنت يا حبيبتي..". حين شاهدها أحس بأن فرحًا غامرًا يخرج من دواخله. كأنها هجرته قبل أعوام، ويتحسس خازن الرصاص؛ وكأن ما يحدث ليس إلا خيالاً.. همهمات عالية انطلقت من فمه: أنت كل شيء بالنسبة لي ..لم أتخيل أي قيمة للحياة بدونك ..التقينا قبل زمن طويل، كنتُ يومها في الرابعة عشر، وها أنا اليوم في الخامسة والعشرين ولم تفتر محبتي، بل لا حبيبة لي سواك.. أرادوا التفريق بيننا حين درست الثانوية، في مدرسة التضامن، إلا أنني رفضت ذلك بشدة، أدخلتك معي عنوة ماذا يمكنهم إن يفعلون بي وأنت معي؟ لست أدري ما نوع هذه المحبة التي جمعتنا.. في العشرين أرادوا أن أتخلى عنك والتحق بالجامعة، إلا أنني صددتهم.. قلت لهم: إن كانت الجامعة ستحرمني هذا الدفء فلتذهب إلى الجحيم .. صدقيني .. أنت أجمل امرأة أحببتها في حياتي. أجال عينيه في رأسها وعنقها ووسطها المشوق: كم مرةً عبرنا الأودية الموحشة والجبال السحيقة والذرى العالية الملفوفة بالضباب دون إن نخشى شيئًا ودون أن نقيم وزنًا لكائن من كان.

2

في الليل أضاء شمعة وقعد جوارها، طول الليل بقيت عيناه معلقتان في عيونك الكثيرة ..تساءل بصوت مرتفع: أي ثوار هؤلاء الذين يريدونها سلمية.. لا أدري كيف ينكرون .. لقد وضع هؤلاء المخابيل شرطًا تعجيزيًّا .. إنه من أعقد الاختبارات التي عرفتها في حياتي: كيف يمكن للإنسان أن يقيم ثورة بدون سلاح؟ نعم كان ذلك في تونس، ثم مصر لكنّا نختلف عنهم كثيرًا .. انظري إلينا ياحبيبتي ألسنا "أنت وأنا "نستطيع القيام بثورة . اللعنة.. اللعنة عليهم جميعا.. اللعنة على تلك اللحظة التي قرروا فيها ترك السلاح.. بإمكاني الآن أخذك معي، لكنهم سيدخلونني ساحتهم، ويدعوك وحيدة؛ لذلك أنت هنا، وأنا هناك، وإن كنت لا أدري كيف أذهب وأدعك وحيدة؟ كيف سيبدو العالم بدونك، وأنا لا أرى الأشياء إلا من خلال رائحتك المشبعة بالبارود؟ نعم حبيبتي ..ألم يقل المثل القبلي "ابن القبيلي له رائحة البارود، وابن السوق لا رائحة له سوى العطر "هاهي الشموع انطفأت، وأنا أراك كالقمر المشرق.. افتح شريط الذاكرة وأستعيده جيدًا...

3

أنا وأنت اثنان، ولكن هذين الاثنين طالما هزما جيوشًا من البشر، هل تتذكرين ذلك الجبل السحيق الذي ذهبنا إليه لجلب أغنامنا من بين تلك القطعان، التي سرقها لصوص الماشية ..؟ كانوا قد ذهبوا بها بين قطعانهم الكثيرة، ولكن هيهات أن يتم لهم ذلك وأنت معي تناصرينني وتقفين أمامي .. تجاوزنا الحقول المرسومة على أشكال عديدة: مربعة ودائرية ومستطيلة.. صعدنا جبلاً عملاقًا، ثم انتشرنا وبالهول انتشارنا ..إذا انتشرت نظراتنا استطعنا تحديد الهدف وقد كان لنا ذلك عندما اخترقت رصاصة واحدة قدم أحدهم .. تجمد اللصوص من الخوف؛ لم يدركوا مصدر الطلقة .. تنادوا لأنهم فهموا إشارتنا حيث لا يستطع أحد منهم توجيه بندقيته أو التحكم بها.

صرخ كبيرهم وهو يضع سلاحه جانبًا :

- ماذا تريدون

قلت لهم بصيغة الجمع، لأنني كنت معك ونحن بمثابة جيش

- نريد أغنامنا..

قالوا

- ولكن من أنتم

- نحن لسنا من اليشر

- ومن تكونون

- نحن من الجن

- ردّ رابعهم في محاولة لإطالة الحديث معنا ومعرفة الصخرة التي نختبئ خلفها فسأل

- من أي القبائل أنتم؟

رددنا عليه بثلاث رصاصات قرب قدميه؛ لأن أصابعه بدأت تتحرك باتجاه سلاحه .

كان المرتفع الجبلي الذي نقف عليه يسمح برؤيتنا لهم ولا يفعل العكس. لم يفكروا طويلاً لأن وبخناهم بواسطة الرصاص، وهي لغة يفهمها القبيلي جيدًا؛ خاصة وأن لدينا طريقة قنص جديدة نستطيع من خلالها ترك إحساسًا بكثرتنا لدى الخصوم.

يومها حمل اللصوص جريحهم وذهبوا، وقبل ذلك أخرجوا أغنامنا كلها دون أن ينبسوا ببنت شفه ودون أن نتحدث شاهدناهم وهم يوجهون أغنامنا في الطريق الصحيح.

4

في الصبح اقترب من النافذة.. شاهد أقرانه - وقد تركوا بنادقهم - يصعدون إلى متن السيارات المتجهة صوب المدينة، كانوا يتحدثون وأصابعهم تجيء وتذهب في إشارة إلى أنهم ينظرون قدومه .. فكر قليلاً، ثم التفت إليها ولا شيء في خياله سوى هؤلاء الذين صعدوا سيارات السفر بصدور عارية؛ لا يمتلكون شيئًا سوى الأمل ..هاهم اليوم قد اجتمعوا ليفرقوا بيني وبينك ولا خلاف بيننا كما تعلمين أنا ما زلت وفيًا لك وأنت كذلك.. إنهم لا يمتلكون دليلاً واحدًا على أننا استأثرنا بسكونهم أو خمشنا جدران دمائهم أو مزقنا جلال نواميسهم وما اعتادوا عليه، كما فعل البعض لم يحدث شيء من ذلك .. ثم قال بصوت متهدج وقد قرر أن يدير لها الظهر :

- لقد تغير العالم..

تخيل صوتا ينطلق من حناجر مواسيرها وهي تقول:

- لا تتركني

- قلت لك ابقي هنا إلى أن أعود، وسوف نتنقل معًا فيما بعد

- أخاف أن تنسى..

حين وصله صدى الصوت الأخير كان قد غادر المنزل؛ إلا أن أصداء الصوت تكررت، وراحت تتماوج في رأسه ؛كأنها أسراب من النحل تلاحقه بطنينها وهو يصرخ قاصدًا الهدف:

- لا..لا.. لا لست حبيبتي